

مادة اللغة العربية للمرحلة الأولى – كلية العلوم – الجامعة المستنصرية

م.م حيدر جاسم خميس

المحاضرة الأولى: نشأة اللغة وأهميتها:

أولاً: نشأة اللغة:

من أين أتت الكلمات الأولى؟ وكيف تطورت الأصوات إلى لغات معقدة؟ هل اللغة اكتشاف أم اختراع؟ هذه الأسئلة وغيرها تدور في ذهن الباحثين المهتمين بمسألة نشأة اللغة، في هذه المحاضرة سنستعرض أهم النظريات التي حاولت الإجابة على هذه التساؤلات، وسنحاول تقييم مدى صحتها في ضوء الأدلة المتاحة.

النظرية الأولى: الإلهام الإلهي:

تتلخص هذه النظرية بأن الله سبحانه وتعالى، لما خلق الأشياء، ألهم آدم عليه السلام، أن يضع لها أسماء فوضعها.

وهي نظرية دينية تعتمد على ما جاء في الكتب المقدسة كالتوراة والقرآن الكريم، ويستدل أصحاب هذا المذهب، من علماء العرب، بقوله تعالى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ} [البقرة: ٣١].

النظرية الثانية: نظرية المحاكاة:

وتتلخص هذه النظرية أن أصل اللغات كلها من الأصوات المسموعة من الطبيعة، كدوي الرياح، وحنين الرعد، وخرير الماء، وشحيج الحمار، ونغيق الغراب، وصهيل الفرس ... وزئير الأسد، ونحو ذلك. ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد".

الرد على النظرية:

لو كانت اللغات كلها محاكاة للطبيعة فلماذا نجد اختلاف في ألفاظها، فمثلاً الصوت الذي يدل على صوت القطعة يختلف لفظه في العربية عن باقي اللغات، ولكل لغة لفظ يدل على هذا الصوت.

النظرية الثالثة: نظرية التطور

ترى هذه النظرية أنلغة الإنسان الأول، سلكت مراحل فطرية متعددة، متمشية مع مراحل نموه العقلي،، وهي شبيهة للمراحل التي يمر بها الطفل في نضوجه اللغوي، وهذه المراحل هي:،،

١- مرحلة الأصوات المبهمة: وتكون هذه الأصوات غير مفهومة ولا تعبر عن شيء.

مرحلة الأصوات المنبئة عن الأغراض والرغبات، تماثلها المحاولات اللغوية للطفل في نهاية سنته الأولى، ففي هذه المرحلة للطفل تبدأ عنده ظهور بعض الأصوات ذات معنى يقصده الطفل، وهي مفهومة بعض الشيء لدى الكبار.

مرحلة المقاطع. وفيها انتقلت لغة الإنسان من أصوات غير محددة المعالم، إلى أصوات محددة، في صورة مقاطع قصيرة، مستنبطة من أصوات الأشياء أو الظواهر الطبيعية، أو على الأقل متأثرة بها إلى حد بعيد.،، ويبدأ الطفل مرحلة تناظر هذه المرحلة، في الشهور الأولى من السنة الثانية، وذلك حين ينطق بمقاطع متكررة، يطلب بها ما يريد، أو يدل بها على أشياء معينة، متأثراً في ذلك بما يسمعه مما حوله من الحيوانات، أو ممن يرى في محيطه من الناس. ولا يزال يكرر هذه المقاطع، حتى تنطبع في نفسه، وتتكون منها لغته البدائية. وكثير من الأطفال يطلقون في هذه السن، كلمة: "هَوُ هَوُ" على الكلب، وكذلك "نَوُ نَوُ" على القط،، "تِكُ تِكُ" على الساعة، وغير ذلك.،،

مرحلة الكلمات المكونة من المقاطع. وفي هذه المرحلة تتكون من المقاطع التي سبق الحديث عنها، الكلمات أو الأصول العامة، التي استعملها الإنسان الأول لقضاء حاجاته، والتعبير عن أغراضه ورغباته. ومن هذه الأصول الأولى اشتق الإنسان كثيراً من الفروع، وبالتأليف بين هذه الفروع وتلك الأصول، اكتمل تكوين اللغة الفطرية.،، وقد وصل الإنسان إلى هذه المرحلة، حين اكتمل عقله، ونضجت أعضاؤه الصوتية، واتسع نطاق حياته الاجتماعية، وكثرت رغباته، واشتدت حاجته إلى التفاهم مع غيره

ثانياً: أهمية اللغة

اللغة هي أداة التواصل الأساسية بين البشر، وهي التي تميزنا عن سائر الكائنات، وهي أداة لتبادل الأفكار، والمعرفة.

أهمية اللغة العربية ودوافع دراستها: تأتي أهمية اللغة العربية من دوافع كثيرة أهمها الدوافع الدينية والدوافع الوطنية.

أولاً: دوافع دينية

اللغة العربية، لغة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، تحتل مكانة سامية في قلوب المسلمين. فهي ليست مجرد وسيلة للتواصل، بل هي أمانة وحبل الله المتين الذي يربط بين المسلمين في كل زمان ومكان. إن دراسة اللغة العربية ليست مجرد اختيار، بل هي واجب ديني وضرورة لتحقيق الفهم العميق للدين الإسلامي، وما فيه من نصوص دينية مقدسة سواء كانت هذه النصوص قرآنية أو حديثية

ثانياً: دوافع قومية ووطنية:

اللغة والهوية العربية: الهوية بضم الهاء: كلمة مركبة من ضمير الغائب (هو) مضافاً إليه ياء النسبة، للدلالة على السمات المميزة لشخص أو مجتمع أو أمة بين الأمم. واللغة هي المظهر الفكري والثقافي الذي يُميّز مجتمعاً عن مجتمع وأمة عن أمة، واللغة لها دور محوري في تكوين ودعم هوية أي مجتمع أو فرد، فالعربي الذي يسافر لأي دولة غير عربية سيكشف عن هويته لحظة كلامه وتواصله باللغة العربية.

ثالثاً: نشأة الوعي اللغوي عند العرب

لما كانت العلوم في الأمم لا تظهر فجأة، بل تأخذ في الظهور رويداً رويداً حتى تستوي على سوقها، كذلك علوم اللغة العربية عموماً وعلم النحو خصوصاً لم يظهر مرة واحدة كاملاً ممنهجاً، بل مرَّ بمراحل من التطور والإسهامات الكبيرة التي كابدها علماء العربية حتى وصل النحو إلى منهجه الكامل المعروف عند المختصين.

وقد نقل كُتَّاب السير والتراجم روايات في نشأة النحو وبداياته، فقد نقلوا بأنَّ الإمام علي -عليه السلام- هو الذي وضع علم النحو، فذكروا أنَّ أبا الأسود دخل على الإمام علي - عليه السلام- وهو بالعراق، فرآه مطرقاً مفكراً، فسأله فيم يفكر؟ فقال له: سمعت ببلدكم لحناً، فأردت أن أصنع كتاباً في أصول العربية، وأتاه بعد أيام فألقى إليه صحيفة فيها: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ". الكلام كله اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل".

وقيل أنَّ أبا الأسود وضع النحو بعد أن سمع اللحن قد استشرى على ألسن العامة، حتى أنه سمع ابنته تقول: ما أحسنُ السماء وهي لا تريد الاستفهام وإنما تريد التعجب، فقال لها قولي: "ما أحسنُ السماء".

وبمرور الوقت تطور علم النحو بفضل تلاميذ الدُّولي أمثال: نصر بن عاصم وعبد الرحمن بن هرمز ويحيى بن يعمر وميمون الأقرن، ومن جاء بعد هؤلاء أمثال حبيب بن يونس واخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه وغيرهم، ثم تطورت علوم العربية لتشمل إلى جانب النحو علم الصرف والبلاغة والعروض وغيرها من علوم العربية.